كيف مات يسوع؟

تأليف: تومي ثاوس

موت يسوع بطبيعة الحال شيء أساسي لرسالة الكتاب المقدس عنه. فالموت هو أحد الحقائق التاريخية عن وجوده الأكثر ثباتاً. كما قد رأينا، مات يسوع بالصلب على يدي بيلاطس البنطي بإصرار من سلطات اليهود. ماذا قد نعرف أيضاً عن موته؟ ماذا يعني الصلب بالضبط؟ عند محاولتنا الإجابة على هذا السؤال التاريخي نجد الدعم من الكتاب المقدس ومن مصادر أخرى غير الكتاب المقدس على حد سواء.

الفظاعة والآلام

صَوَّر الفيلم السينمائي لميل قيبسون «Mel Gibson» إخراج سنة ٢٠٠٤ بعنوان «آلام المسيح» {«ذي پاشون أوف ذي كرايست The Passion of the Christ»} بطريقة حية وحشية وبربرية الموت بالصلب. شكى بعض المشاهدين من العنف الذي صُوِّر في الفيلم. كانت إستجابتي كمن درس الصلب لسنين كثيرة هي: «ماذا كنتم تتوقعون؟» اعتقد أن هذا يبين قلة فهمنا للطريقة التي مات بها يسوع.

كان الصلب اسلوب من اساليب التعذيب والاعدام لم يقترحه الرومان بل هم الذين عملوا على «تحسينه» (إذا كان يصح استخدام هذا التعبير لمثل هذا العمل البشع). كان يتضمن في الأصل غرز قضبان حادة مثل الخازوق في أجساد الموتى، وتركهم بعد ذلك عرضة للإفتراس والعوامل الجوية كطريقة لإظهار النصر على المغلوبين والازدراء بهم. وفي ما بعد أتى شخص ما بفكرة وضع الناس على الخازوق وهم أحياء. أخذ الرومان هذه الوسيلة الشنيعة و«أدخلوا عليها تحسينات» ليكون الموت مطولاً إما بتسمير الضحايا على الأعمدة أو الصلبان، وتركهم للموت بالطيء والمؤلم.

الموت بالصلب يكون عادة نتيجة للصدمة أو اعراض ثانوية أو التعرض للعوامل الجوية أو أية أخطار أخرى، أو النزف والانهاك الشديد، أو الاختناق. الصلب بحد ذاته لا يسبب الموت الفوري. إذا تم ربط الضحية على الصليب، لا يكون هناك جروح، إلا التي يسببها الضرب الذي يسبق الصلب أحياناً (وليس دائماً). حتى عندما تُسْمر اليدين على الخشب، يتم ذلك بإدخال المسمار (مسمار كبير) بحرص بين عظام كل رسغ. وذلك للاستعانة ببنية العظام لدعم حمولة جسم الضحية على الصليب (تسمير كفي اليدين قد لا يحمل الوزن)، ويتجنب ذلك أيضاً تمزيق أي من الأوعية الدموية الرئيسية مما قد يؤدي إلى النزف الشديد وتكون النتيجة الموت السريع. يُترك المحكوم عليه على الصليب ليموت، وقد تستغرق هذه العملية عادة بضع أيام.

ولكن بما يتعلق بيسوع، فقد مات سريعاً نسبياً (ست ساعات تقريباً حسب الأناجيل). قد يدل هذا على أن يسوع ربما مات بسبب سكتة قلبية أو تمزق في القلب، كما يدل إنجيل يوحنا ١٩: ٣٤ على ذلك: «لكِنَّ وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ». يتفق الكثير من الأطباء على انه قد يكون خروج الدم والماء نتيجة لانفصال مصل الدم عن جزيئاته الثخينة بعد موت يسوع مباشرة. لا شك أن موته كان سريعاً بسبب تعذيبه قبل الصلب. كان التعذيب بالسوط بحد ذاته عملية شنيعة. كان السوط المستخدم مكوناً من عدة ألسنة جلدية بها قطع عظام أو معدن أو زجاج، هدفها تمزيق الجسم. قال بعض الكُتَّاب القدماء أنه في حالات الضرب المبرح تظهر للعيان أحياناً الأعضاء الداخلية لجسم الضحية من الخلف. وأحياناً يكون ضرب السياط مميتاً بحد ذاته.

في حالة اللصين اللذين صلبا مع يسوع، فقد ماتا من الاختناق. كان الناس يُصلبون عادة برجلين منحنيتين عند الركبتين، وقدمين إما مسمرتين أو مربوطتين على قطعة خشب. وهذا يسمح للضحية بان يدفع ساقيه إلى الأسفل ويستنشق الهواء. مع أن دفع رجلين مسمرين إلى الأسفل بعد ساعات من الإنهاك بيدين مبسوطتين وحمولة الجسم كله، شيء مؤلم بهذا

القدر، إلا أن هذه كانت الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يتنفس بها الشخص. يقول إنجيل يوحنا ١٩: ٣١-٣٣ أن سلطات اليهود طلبوا من بيلاطس أن تُكسر أرجل الرجال الثلاثة المصلوبين لكي يموتوا بسرعة، لكي تُنْزَل أجسادهم من عن الصلبان لكي لا تبقى عليها خلال سبت عيد الفصح. كسر الرجلين يعني أن الضحية لا تستطيع التنفس في ما بعد بدفع الرجلين إلى الأسفل، فيموت بعد دقائق فقط. كانت رجلا يسوع ستُكسران أيضاً، ولكن العسكر رأوا انه قد مات. غرز أحدهم الحربة في جنبه للتأكد من ذلك.

الإذلال والعار

لا يشمل الصلب على آلام جسدية شديدة فحسب، يشمل أيضاً الإذلال والعار. كان الرومان يعرفون كيف يحصلون على كل الدعاية من عملية إعدام المحكوم عليهم بالموت، كان يحدث الاعدام دائماً تقريباً في الأماكن العامة (على سبيل المثال، جوانب الشوارع التي تكثر بها حركة المرور المؤدية إلى المدن ومنها). لا نعلم المكان المحدد الذي صُلب فيه يسوع، مع ان هناك عدة احتمالات.

كانت التهمة التي من أجلها يتم اعدام شخص ما تُكْتَب على لافتة وتوضع فوق رأس ذلك الشخص لكي يعرف كل من يمر من هناك عن سبب الاعدام، حتى لا يفعله هو أيضاً. ذكر كل من الأناجيل المتشابه المحتوى الكتابة التي وضعت فوق رأس يسوع: «ملك اليهود». أضاف إنجيل يوحنا أن ذلك كان مكتوب بالعبرانية (ربما كانت اللغة الأرامية هي لغة اهل فلسطين العامية)، واللاتينية (لغة الأمبراطورية الرومانية الرسمية)، واليونانية (اللغة الشعبية المستخدمة في منطقة البحر الأبيض المتوسط). لا نعرف ما إذا كان مثل هذه اللافتة تُكْتَب عادة بثلاث لغات أم لا. أكد بيلاطس أنه يمكن لكل شخص أن يقراءها. كتب يوحنا عن اعتراض اليهود ومحاولتهم ليجعلوا بيلاطس يعيد كتابة تلك اللافتة لتكون: «قال هذا: أنا ملك اليهود». رأى بيلاطس الفرصة لبعض الإنتقام من رعاياه اليهود المحتقرين لأنهم أجبروه على إصدار حكم بالاعدام بينما لم يكن هو موافقاً على ذلك. قال لهم ببساطة: «مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ» (يوحنا ١٩: ٢٢). طبعاً رأى كُتَّاب الأناجيل بطبيعة الحال تلك الكتابة كاعتراف بحقيقة عن يسوع، بانه كان بالحقيقة «ملك اليهود».

ولأن الصلب كان طريقة مذلة للموت، كانت هذه الطريقة مخصصة لأدنى المجرمين، ولم تُطبق عادة على المواطنين الرومان (مع أن التاريخ يشهد لإستثناءات قليلة). يوضح هذا لماذا أعدم بولس الرسول والمواطن الروماني بقطع الرأس بدلاً من الصلب[١]. ولكن بطرس من ناحية أخرى، إذا كان مجرد قروي جليلي، صُلِب (راجع الإشارة الخفية إلى حد ما إلى طريقة موت بطرس كما وردت في إنجيل يوحنا ٢١: ١٨ و١٩). إذلال الصلب يساعدنا أيضاً على فهم الإستهزاء الذي تلقاه يسوع قبل صلبه وأثناءه. كيف يوضع من إختاره الله في مثل هذه الحالة–وخاصة من يقول انه ملك؟ (راجع متى ٢٧: ٢٧-٤٤؛ مرقس ١٥: ١٦-٣٢؛ لوقا ٢٣: ٣٢-٣٨؛ فيلبي ٢: ٨؛ عبرانيين ١٢: ٢).

كان عار الصليب حجر «عثرة»[٢] لبعض الناس الأوائل الذين سمعوا قصة يسوع (١ كورنثوس ١: ٢٣؛ غلاطية ٥: ١١). قد يبدو هذا غريباً نحن الذين نعرف عن صليب المسيح ونرنم له، ولكن هذا معروف تماماً. من وجهة النظر الوثنية لا يكون هناك معنى في أن يكون هناك أي نوع من «نصر»، أو عمل أي صلاح من عملية الصلب لشخص ما. ومن وجهة نظر اليهود، الصليب نفسه يستبعد يسوع من احتمال أن يكون المسيح الموعود به. على كل حال، يصدر سفر التثنية ٢١: ٢٣ اللعنة على كل من عُلِق على الخشبة. (راجع يشوع ٨: ٢٩، حيث أن التعليق على الخشبة بعد الموت يدل على هزيمة نكراء ومنتهى الإذلال). طبعاً لا يكون مسيا الله إنساناً ملعوناً! أدى هذا إلى شيء من مشكلة لاهوتية في الكنيسة المبكرة إذ كانوا ينادون بمسيح مصلوب مقام من الأموات. تحدث بولس عن هذه المشكلة في رسالته إلى أهل غلاطية

---

[١] يوسيفوس في كتابه بعنوان «Church History» ٢. ٢٥. ٥.

[٢] هذا التشبيه من الكلمة اليونانية «سكاندالون σκάνδαλον» وتعني في الأصل «فخ». ومن ثم أصبحت تعني مسبب إساءة {«مسيء أو مزعج»}. العبارة «عثرة الصليب» هي أساساً من كلام بولس الوارد في ١ كورنثوس ١: ٢٣ وغلاطية ٥: ١١.

٣: ١٣ و١٤، حيث اقتبس النص الذي وردت به اللعنة من الأصحاح ٢١ من سفر التثنية. وقال أن: «اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ {أي عدم قدرتنا على حفظه؛ غلاطية ٣: ١٠-١٢}، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا ...». لم ينكر بولس لعنة حالة يسوع، ولكنه وضع التوكيد على أن يسوع أخذ لعنتنا على نفسه إذ أخضع للموت بالصلب.

المغزى والاستياء

ورد دفاع بولس الأكثر فصاحة عن الصليب في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١: ١٨-٢٥، حيث اعترف أن «كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ الله». واستمر قائلاً— مع أن اليهود يطلبون «آية» (أي إثبات قاطع لهوية يسوع) واليونانيين يبحثون عن «حكمة» (ربما نظام فلسفي منطقي بالنسبة لهم)—إلا انه يستمر يكرز «بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا». قال بولس انه بينما قد لا يكون للصليب معنى لغير المؤمن، إلا أن الله قدم فيه طريق أخر لمعرفته ومحبته، ألا وهو طريق الصليب. مازال الصليب عثرة لكثيرين اليوم، كما كان في القرن الأول الميلادي. ليس الإنجيل جذاب للفكر البشري وكبرياءه؛ نفضل عدم التفكير بحقيقة الخطيئة والحاجة إلى إزالتها.

الخلاصة

ما نعرف عن الطريقة التي مات بها يسوع ينسجم تماماً مع المعلومات عن الصلب عند الرومان ومنظوره لدى الشعوب القدماء، اليهود والأمم على حد سواء. لم يروي أي كاتب من كتاب العهد الجديد التفاصيل الدقيقة للصلب أو آلام التي كابدها يسوع على الصليب. تم وصف اعدامه بأوجز العبارات: «صَلَبُوهُ» (مرقس ١٥: ٢٤)؛ راجع أيضاً متى ٢٧: ٣٥؛ لوقا ٢٣: ٣٣؛ يوحنا ١٩: ١٨). ينسجم هذا مع آداب معظم الكتاب القدماء، الذين نادراً ما يذكرون تفاصيل الصلب، ربما كانوا يعتبرون أن الخوض في تلك التفاصيل قد يكون مسيئ {أو يؤدي إلى إستياء}. كان قُرَّاء الإنجيل الأوائل يعرفون تمام المعرفة عملية الصلب، إذ أن عمليات الاعدام كانت تحدث على سمع وبصر الكل. كلمة «صليب» لا تذكرهم بالتفصيل المعماري لبيت الصلاة أو قطعة من المجوهرات؛ بل كان واضح ببساطة انه أداة القتل.كان الشيء الأكثر أهمية بالنسبة لهم هو ذلك الشخص الذي مات وما سبب موته.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠